

مَسْئُولِيَّةُ الْكَلِمَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِالْإِسْلَامِ وَأَعَزَّنَا بِهِ قُوَّةً وَإِيمَانًا، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا فَجَعَلْنَا أَحِبَّةً وَإِخْوَانًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَنْزَلَ كِتَابَهُ هُدًى وَرَحْمَةً وَتَبْيَانًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيَّهُ وَخَلِيلُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا لَهُ عَلَى الْحَقِّ إِخْوَانًا وَأَعْوَانًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى طَاعَتِهِ بِمَا رَزَقَكُمْ، وَاشْكُرُوا عَلَى نِعْمِهِ كَمَا أَمَرَكُمْ؛ يَزِدْكُمْ مِنْ فَضْلِهِ كَمَا وَعَدَكُمْ، وَقَابِلُوا نِعْمَهُ بِالشُّكْرِ وَالْعِرْفَانِ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:2].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَكَرَّمَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ أَفْضَلَ تَكْرِيمٍ، وَخَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ وَزَادَهُ تَكْمِيلًا، وَجَعَلَهُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مُؤْتَمِنًا وَمَسْئُولًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:78].

فَأَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ وَدَوَامِ ذِكْرِهَا، وَحَذَرَهُ مِنْ جُحُودِهَا وَنَسْيَانِهَا وَكُفْرِهَا؛ فَإِنْ حَفِظَهَا وَأَدَّى حَقَّهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الرَّبِّحِ وَالْكَرَامَةِ، وَإِنْ ضَيَّعَهَا وَبَخَسَهَا حَقَّهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَسَارَةِ وَالنَّدَامَةِ، حَيْثُ يَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَ يُؤْيَذُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ الَّذِينَ هَلَقُوا وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْأَمِينُ﴾ [النور:24-25].

وَنَهَاةُ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْخَوْضِ فِي مَا لَا عِلْمَ لَهُ فِيهِ، وَعَنِ التَّعَرُّضِ لِمَا لَا يَعْنِيهِ أَوْ يَجْرُ الْأَذَى إِلَيْهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:36]. وَإِنْ مِنْ عِلَامَاتِ الطَّيِّبِ وَقَلَّةِ الْعَقْلِ وَالْحِرْمَانِ، وَمِنْ ضَعْفِ الْفِطْنَةِ وَالْحِكْمَةِ فِي الْإِنْسَانِ: أَنْ يُطْلِقَ لِسَانَهُ فِي كُلِّ جَلِيلٍ وَحَقِيرٍ، وَفِي كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، يُحَدِّثُ بِلَا تَرَوٍّ وَلَا تَثَبُّتٍ، وَيُرْسِلُ الْأَخْبَارَ عَلَى عَوَاهِنِهَا بِلَا تَحَقُّقٍ، وَيَخُوضُ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ بِلَا وَجَلٍّ وَلَا تَمَحِيصٍ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ عِلَامَاتِ النِّفَاقِ الْمُخِيفِ؛ الَّتِي حَذَّرَ مِنْهَا الشَّرْعُ الْحَنِيفُ؛ فَعَنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا أَوْثَمَنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَحَرِيٌّ بِمَنْ يَنْقُلُ كُلُّ مَا يَسْمَعُهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي زُمْرَةِ الْكَاذِبِينَ؛ فَفِي الْحَدِيثِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

وَأَيُّ عَيْبٍ فِي الْمَرْءِ أَقْبَحُ مِنَ الْكَذِبِ؟!، وَأَيُّ ذَنْبٍ فِيهِ أَشْنَعُ مِنْ تَرْوِيجِ الْإِشَاعَاتِ؛ لِإِفْسَادِ الْأَفْرَادِ وَالْفَتَكِ بِالْمُجْتَمَعَاتِ، وَالتَّحْرِيسِ عَلَى الْفِتْنَةِ وَالتَّحْرِيشِ بَيْنَ النَّاسِ؟! وَهَذَا مِنْ سَبِيلِ أَهْلِ النَّارِ عِيَاذًا بِاللَّهِ!! عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَمَلُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «الصَّدْقُ، وَإِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ بَرًّا، وَإِذَا بَرَّ آمَنَ، وَإِذَا آمَنَ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَمَلُ النَّارِ؟ قَالَ: «الْكَذِبُ، إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ فَجَرَ، وَإِذَا فَجَرَ كَفَرَ، وَإِذَا كَفَرَ دَخَلَ يَعْنِي النَّارَ» [رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ وَشُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطِ].

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَانَتِهِ أَوْ عَادَةِ الشُّؤْمِ أَوْ مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ

إِحْوَةَ الْإِيمَانِ:

إِنَّ أخطرَ مَا فِي الْإِنْسَانِ هُوَ جَارِحَةُ اللِّسَانِ؛ إِذْ بِهِ تَسْتَقِيمُ الْأَعْضَاءُ أَوْ تَعْوِجُ، وَبِهِ يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ يُهَانُ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا» [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، وَيَجْلِبُ عَلَيْهِمْ سُخْطَ الْجَبَّارِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، قَالَ: «التَّقْوَى وَحُسْنُ الْخُلُقِ» وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْأَجْوَفَانِ: النَّفْسُ وَالْفَرْجُ» [رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ].

وَمِنْ هُنَا أَمْرُ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ بِحِفْظِ اللِّسَانِ وَحَدْرٍ مِنْ إِطْلَاقِ الْعِنَانِ لَهُ؛ لِئَلَّا يَسْلُكَ بِصَاحِبِهِ سُوءَ الْمَسَالِكِ وَيُورِدُهُ شَرَّ الْمَهَالِكِ؛ فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «كُفَّ عَيْبَكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»؟ [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ].

وَلَا يَنْحَصِرُ هَذَا الْخَطَرُ الْعَظِيمُ بِاللِّسَانِ فَحَسَبُ، بَلْ يَتَحَمَّلُ الْإِنْسَانُ مَا يَخْطئه الْبَنَانُ، وَمَا تَرْتَكِبُهُ سَائِرُ الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ، فَمَنْ يَكْتُبُ فَهُوَ مَسْرُورٌ عَنْ كِتَابَتِهِ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، فِي الصُّحُفِ أَوْ الْمَجَلَّاتِ، أَوْ وَسَائِلِ

التَّوَّاصِلِ، فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْتَهِينُ بِنَقْلِ الْأَحَادِيثِ الْكَاذِبَةِ وَالْقَصَصِ وَالْحِكَايَاتِ النَّادِرَةِ، وَالْأَخْبَارِ الْمُرْسَلَةِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ وَلَا تَبْتُّ، فَيَرُوجُونَ لِلْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُونَ أَوْ لَا يَشْعُرُونَ، وَمَا دَرَوْا أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأَبَاطِيلِ وَالْأَضَالِيلِ تَنْتَشِرُ انْتِشَارَ الضَّوءِ فِي الْأَفَاقِ بِضَغْطَةِ زَرٍّ أَوْ لَمَسَةِ إصْبَعٍ، وَقَدْ تَوَعَّدَ الشَّرْعُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِالْعِقَابِ الْأَلِيمِ؛ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ بِسَنَدَيْهِمَا عَنْ سَمُرَةَ بِنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا.. إِلَى أَنْ قَالَ: «فَأْتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيِي وَجْهَهُ فَيَشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ»، قَالَ: «ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى» قَالَ: حَتَّى رَأَى مَنَاطِرَ وَمَشَاهِدَ عَدِيدَةً ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِهَا وَمِنْهَا مَا قَالَ: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْأَفَاقَ».

مَعَشَرَ الْمُؤْمِنِينَ:

وَلَسْنَا بِمَنَائِي عَنِ الْمَسْئُورِيَّةِ عَنِ أَنْفُسِنَا وَأَعْضَائِنَا وَجَوَارِحِنَا، فَنَحْنُ مَسْئُورُونَ عَنِ جَوَارِحِنَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا؛ فَالْعَيْنُ مَسْئُورَةٌ عَمَّا تَنْظُرُ، وَالْأُذُنُ تُسْأَلُ عَمَّا تَسْمَعُ، وَاللِّسَانُ مَسْئُورٌ عَنِ كُلِّ كَلِمَةٍ يَنْطِقُهَا؛ قَالَ تَعَالَى:

﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18]

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِيمَانِ وَأَكْرَمَنَا بِالْقُرْآنِ، وَغَمَرَنَا بِالْفَضْلِ وَالنِّعَمِ وَالْإِحْسَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ جَعَلَ الْإِسْلَامَ عِصْمَةً لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالْفُرْقَةِ وَالْهَوَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُبْعُوثُ بِالرَّحْمَةِ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ بِاللِّسَانِ وَالْمَالِ وَالسِّنَانِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ، وَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ وَاشْكُرُوا عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَاحذَرُوا النَّزَاعَ وَالشُّقَاقَ وَالْخِصَامَ، وَاعْلَمُوا - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - أَنَّ كُلَّ مَا يُؤَدِّي إِلَى ائْتِلَافِ الْقُلُوبِ وَمَوَدَّتَيْهَا، وَاجْتِمَاعِ النُّفُوسِ وَتَأَلُّفِهَا وَمَحَبَّتَيْهَا - مَطْلَبٌ شَرْعِيٌّ وَمَقْصِدٌ ضَرُورِيٌّ، كَمَا أَنَّ كُلَّ مَا يُسَبِّبُ تَبَاعُدَ الْقُلُوبِ وَتَنَافُرَهَا،

